الرياض

الاربعاء ٢٣ المحرم ١٤٢٧هـ - ٢٢ فبراير ٢٠٠٦م - العدد ١٣٧٥٧

على وجه التحديد

فليرمها ب «حذاء!!

د.عبدالواحد الحميد

نحن السعوديين لم نفاجأ بحيوية الآسيويين عندما تابعنا زيارة خادم الحرمين الشريفين للصين والهند وماليزيا وباكستان.. فآسيا تبدو قارة واعدة على الخريطة العالمية، وقد زادت الأهمية الاقتصادية والسياسية لهذه القارة أضعافاً مضاعفة خلال الفترة القليلة الماضية رغم أن الصين لا زالت هي الدولة الآسيوية الوحيدة التي تتمتع بالعضوية الدائمة بمجلس الأمن وهي الوحيدة بين الدول الآسيوية التي تملك حق «الفيتو» في المجلس!

وكانت مجموعة الدول الآسيوية المعروفة ب «النمور الآسيوية» قد أذهلت العالم بالنمو الاقتصادي الذي حققته خلال مدة بسيطة من الزمن فارتفعت إلى مصاف الدول الصناعية وأصبحت تصدر المنتجات التجارية الجيدة إلى الخارج وتبيعها بأسعار زهيدة في أسواق العالم بما في ذلك الأسواق الأوروبية والأمريكية.

وقبل ذلك تألقت اليابان على الساحة الاقتصادية العالمية رغم الهزيمة العسكرية القاسية التي تعرضت لها في الحرب العالمية الثانية.. لكنها استطاعت، وبسرعة مذهلة، أن تنهض وتتحول إلى عملاق اقتصادي.. ومن يقرأ تاريخ اليابان القريب يذهل كيف استطاعت هذه الدولة أن تقفز من خانة الدولة المتخلفة التي تئن تحت وطأة العادات والتقاليد البالية وتنتقل إلى مقدمة دول العالم في مجال الصناعة والتقدم العلمي والتكنولوجي وهي الدولة التي كانت حتى الأمس القريب تستمد مقومات اقتصادها بتقليد المنتجات الأوروبية والأمريكية وتعاني من شح الموارد والمواد الخام الضرورية لقيام صناعة قوية.. لكنها استعاضت عن ضعف الموارد الاقتصادية بملكات العقل والمواهب الفكرية والإبداع والابتكار الإنساني!

ومن بعد اليابان جاءت تايوان.. وكانت المنتجات التايوانية محل تندر المتسوقين وتعتبر سلعاً رديئة لا تتسم بالجودة وذات أسعار زهيدة وهي في معظمها من السلع الخفيفة البسيطة وفي مقدمتها ألعاب الأطفال والسلع الاستهلاكية العادية.. لكن تايوان سرعان ما تجاوزت هذه المرحلة وصارت تنتج سلعاً تتمتع بالتقنية العالية والجودة الرفيعة.. وقد استطاعت أن تحقق كل ذلك رغم ظروفها السياسية الصعبة ورغم العزلة التي تعاني منها بسبب تقلص علاقاتها الدبلوماسية مع دول العالم بإصرار من الصين التي تعتبر تايوان جزءاً منها.

أما النجاح المذهل الذي حققته كوريا الجنوبية فهو يستحق التأمل والدراسة.. ولعل الصورة الذهنية عن الكوريين لدى أجيال من السعوديين ترتبط بالعمالة الكورية البسيطة التي كانت تعمل في بناء الطرق والإنشاءات إبان الطفرة الاقتصادية التي عاشتها المملكة في حقبة السبعينيات الميلادية.. لكن كوريا أصبحت عملاقاً اقتصادياً.. وها نحن نستورد منها السيارات والمنتجات الإلكترونية المتقدمة.. بل إن كوريا تصدر هذه المنتجات إلى الدول الصناعية المتقدمة وتحصل على نصيب متنام من أسواق هذه الدول!

إن انفتاح المملكة على الدول الآسيوية يمكن أن يحقق لنا الكثير من الإيجابيات.. وفي مقدمة ذلك، تلك الدروس التي يمكن أن نتعلمها منهم، فهم أقرب إلينا من الدول الغربية التي أوغلت في ماديتها وتنكرها للقيم الروحية والدينية..

وعندما ننفتح على آسيا فنحن ننفتح على قارة تربطنا بها وشائج كثيرة وتربطنا بها- أيضاً- مصالح مشتركة.. كما أننا نشارك هذه القارة نجاحاتها وقفزاتها التي تحققها خطوة خطوة فنرى كيف يمكن أن يتحقق النجاح في عالم يتسم بالتنافسية الشديدة.

وآسيا كما هي عبر تاريخها الطويل قارة الأعاجيب والغرائب.. ومن غرائبيات ما نشرته الصحافة الاقتصادية مؤخراً تذمر دول الاتحاد الأوروبي من إغراق الأسواق الأوروبية ب «الأحذية الآسيوية»!! فقد نشرت مجلة «بزنس ويك» في عددها الأخير أن دول الاتحاد الست والعشرين تتدارس اتخاذ إجراءات ضد كل من الصين وفيتنام لأن هاتين الدولتين الآسيويتين أغرقتاهم بالأحذية الرخيصة الثمن وأصبحت تهدد الصناعات الأوروبية ذات الشهرة العالمية.. وجاء في التقرير أن صادرات الصين من الأحذية إلى دول الاتحاد الأوروبي قد زادت خلال العام الماضي بنسبة ثلاثمائة وعشرين بالمائة (٣٢٠٪).. أما الصادرات الفيتنامية من الأحذية إلى دول الاتحاد فقد زادت خلال نفس الفترة بنسبة سبعمائة بالمائة (٧٠٠٪).. وبسبب ذلك تفكر ست وعشرون دولة أوروبية بفرض قيود على استيراد الأحذية من الصين وفيتنام!

لقد شطح بي الخيال حين قرأت ذلك التقرير، فتصورت القارة الأوروبية بكامل هيلامانها التاريخي وأساطيلها العسكرية التي غزت آسيا في فترات سابقة عندما شنت بريطانيا الاستعمارية على الصين «حرب الأفيون» الشهيرة وحاولت فرض تجارة الأفيون على الشعب الصيني، وتصورت أيضاً عجرفة الفرنسيين حينما ورطوا أنفسهم في مغامرة خاسرة مع الفيتناميين ثم فروا هاربين بعد أن تجرعوا مرارة الهزيمة فتركوا فيتنام لأمريكا التي ما لبثت أن ركعت أقدامها أمام جبروت النضال الفيتنامي ثم هربت لا تلوي على شيء.. كل ذلك تصورته وأنا أرى ذلك التاريخ الدامي الطويل ينتهي إلى معركة صغيرة حول الأحذية الصينية والفيتنامية التي يرى الأوروبيون أنها ستغرقهم وستفقد شرائح واسعة من مواطنيهم لقمة العيش.. ومن أجل ذلك تنادى الأوروبيون إلى اجتماعات يتناقشون فيها كيف يتفادون الأحذية التي يرميهم بها الآسيويون!!

لعلها «الخطيئة» الأوروبية.. لكن الآسيويين لا يترددون أن يرموهم بحذاء!